



ألف ليلة وليلة بين الحضارة العربية والأوروبية

Hilda Dimiyati Asmara¹, Ahmad Habibi Syahid^{2*}

¹Universitas Islam Negeri (UIN) Sunan Kalijaga, Yogyakarta, Indonesia

²Universitas Islam Negeri (UIN) Sultan Maulana Hasanuddin, Banten, Indonesia

One Thousand and One Nights between Arab and European Civilization

E-Mail Address

ahmad.habibi@uinbanten.ac.id

*Corresponding Author

Abstract

Many Muslims today are ignorant of their history and glory in the past. They are unaware of their ancestors, who were role models and leaders of the world culturally and scientifically. On the other hand, the tale of “One Thousand and One Nights” achieved tremendous popularity worldwide. Hence, the writers wanted to highlight the value and the influential role he played in human societies. In addition, Night is pure spring water with its freshwater, the European novel tree. In some instances, many books were produced by French and German authors. The nature of this study necessitated taking advantage of the descriptive method, which defies facts, in addition to studying the phenomenon as a result of influencing the construction of the literary work, what the writer did for this tributary that he drew from others, and how he employed it in his literary output. Arab and European literature is influenced by each other, as it appears in the imaginary drawings of Europeans inspired by the story of the Thousand and One Nights. In contrast, the Arabs were influenced intellectually, taking into account their cultural and civilizational specificity.

Keywords

Civilization;
one thousand and one nights;
Voltaire

المقدمة

الحضارة العربية هي من إحدى الحضارات التي أضاعت العالم في العصور الوسطى والتي كان يسودها الجهل والظلمات في أوساطها، وكانت ممتدة من الأندلس غربا ويصل إلى الصين شرقا. ففي العقود الأخيرة من القرن الأول الهجري، بدأت الإسلام في الإنتشار وصولا إلى أوروبا شيئا فشيئا وذلك عن طريق الأندلس ثم تتبعها صقلية، وكذلك انتشرت أيضا عن طريق الحروب الصليبية التي حدثت في ذلك الوقت، ونخص بالذكر هنا تأثيرها في مجال الأدب (Hāshim, 1970).

في أواخر الفترة ظهرت العديد من الآداب العالمية التي خضعت لتأثيرات الأجداد الأوائل، وتركوا الكثير من التراثات الضخمة حيث يمكننا القول إن إبداعات الإنسان على مر الزمان ولدت نتيجة الإتصال



والتأثر ببعضهم البعض، فلا يمكن أن تنتج عملا من الفراغ لا أصل له، فكل الأعمال الأدبية التي يتم إنتاجه يحتوي بداخله على الإبداع أو يكون مكملا للأعمال الأدبية الأخرى. ونأتي لقضية التأثير والتأثر سواء كانت روافدها داخلية في نطاق الأدب نفسه، أو روافد أجنبية فلا يمن لأي عمل أدبي مهما كان مايكتسبه من صفات جمالية إلا نتيجة تأثيره بالآداب الأخرى (Hāshim, 1970).

ومن ثم فإن دراسة هذه الظاهرة يتم تحليلها من خلال التأثير في بناء العمل الأدبي، وماذا فعل الأديب الذي استلهم الأفكار من غيره، وكيف وظّفه في نتاجه الأدبي وجعله مختلفا عن غيره، وهذا ماسيتم مناقشته من قبل الباحثين، حول أديين أحدهما يمثل الثقافة العربية وهي حكاية شهرزاد الموجودة في ثنايا كتاب " ألف ليلة وليلة" وأما القصة الأخرى فهي عبارة عن مجموعة من قصص فرلتير الفرنسي وعونه الألماني (Hāshim, 1970).

وسبب اختيار الباحثين لدراسة هذا الموضوع كان نتيجة إدراك الكثير من المسلمين اليوم يجهلون تاريخهم ومجدهم الماضي، وأنهم غير مدركون عن أسلافهم كيف كانوا قدوة وقادة للعالم ثقافيا وعلميا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن حكاية "ألف ليلة وليلة" حققت نجاحا كبيرا حول العالم حيث دخلت مجالس الأسر في جميع أنحاء البيت، حيث أراد الباحثين إبراز قيمة المؤلف، وما لعبه من دور فعال في المجتمعات البشرية.

وهل يوجد تشابه أو تمايز بين الأديبين العربية والأوروبية الذي يوحى بجدوى الدراسات المقارنة بينهما، ومدى فعاليتها في تعميق رؤيتنا للعلاقات الإنسانية المختلفة المتخيلة في الكتابات الأدبية؟، إذا فالهدف من هذا البحث هو تتبع الحوار الحضاري من منظور الأدب المقارن، حيث استفاد الباحثين من المنهج التاريخي الذي ينقضي عن هذه الحقائق.

فالأدب المقارن بوصفه حقلا دراسيا لا يزال حتى اليوم خاضعا لهيمنة الغرب، أو غرب أوروبا وشمال أمريكا، في اختيار مواضيع البحث ومناهج التحليل ومايوافق ذلك من النظريات الأدبية، إما بسبب سوء النية (الإستشراق) أو قلة حيلة. فالأهمية من هذا البحث هو توسيع آفاقنا في التنظير للأدب ومناحينا في الأدب المقارن (Ouyang, 2016; Qijāl, 2009; Basnett, 1999).

منهج البحث

منهج البحث المستخدم لدى هذا البحث أو في كتابة المقال بعنوان "ألف ليلة وليلة بين العربية والأوروبية" بالمنهج الوصفي وهي طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث. حيث يستخدم الباحثان هذه الطريقة لوصف عن ألف ليلة وليلة بين العرب والأوروبيين والمقارنة بينهما وعن الآثار الناتجة عنهما. وتتم مراجعة المناقشة وتحليلها باستخدام منهج الأدب المأخوذ من الأدبيات الأولية والثانوية.

نتائج البحث والمناقشة

تعرف الحضارة بشكل عام بمعنى "التقدم والإزدهار"، وهي طريقة الحياة التي ارتضتها الأمة لنفسها في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والإقتصادية من قيم معينة ومحددة. فمن هذا المنظور ماهي معنى الحضارة من حيث اللغة والإصطلاح؟ فكانت مفهوم الحضارة من حيث اللغة هي الإقامة في الحضر، وحاضر القوم جالسهم وحادثهم بما يحضرهن وحضر الشيء أعده، واحتضر المجلس والمكان الذي نزل فيه، ونحضر تخلق بأخلاق أهل الحضر وعاداتهم، واستحضره طلب حضوره. والحاضرة: هي خلاف البادية وهي المعدن والقرى والريف، والحضرة: الحصور والنواجد (al-Najjār, 2015). وأما اصطلاحا فتعرف الحضارة بأنها تعدد الخلفيات الفكرية والمذهبية لمن تناول اللفظ بالشرح والدرس ولعل الحاضر في الأذهان من معنى ظاهر للحضارة هو التقدم المادي للمجتمع. إذا وما الآراء المختلفة في مفهوم الحضارة؟

فتعرف الحضارة عند ابن خلدون "تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله. وهكذا نجد في تحليل ابن خلدون لماهية الحضارة قد ذكر أنها نمط من الحياة المستقرة التي تزدهر في ظلها فنون من العيش والعلوم والصناعات المختلفة وإدارة شؤون الحكم والحياة وتوطيد أسباب الرفاهية. وأما الحضارة بمفهومها الشامل فهي كل إنتاج مادي أو أدبي لإنسان سواء أكان إنتاجا راقيا أو بدائيا، ولهذا لا يمكن القول بأنه يوجد مجتمع دون حضارة، وكل حضارة من الحضارات هي سلسلة ضمن جهود حضارات سابقة. ولكل حضارة صورة تميز تلك الأمة وجهودها في فترة زمنية معينة (Ibn Khaldūn, 2005).

فعناية الحضارة الأولى هي الإرتفاع بالحياة الإنسانية وذلك بهدف الوصول إلى مراتب أعلى وإنجازات أرقى، وأنها تؤدي في الإرتفاع بالفكر الإنساني وذلك لأن الإنسان بفكره يدعو إلى الأخذ بالأفضل. والغاية الأخرى من الحضارة فهي السيطرة على الطبيعة وهي أيضا تحقق المساواة بين الجميع، فالجميع في ظل الترتيب الإجتماعي والوظيفي، فهو يشعر بالمساواة مع غيره في الحقوق والواجبات (Abū Sulaymān, 1992).

الحضارة العربية الإسلامية

تمثل الحضارة العربية الإسلامية حلقة مهمة في سلسلة الحضارة الإنسانية، والسبب في ذلك لما قدمته من علوم وأثر تلك العلوم في الحضارات الأخرى. حيث كانت أوروبا في ذلك الوقت تعيش في غياب حيث حطمت كيائها سيطرة رجال الدين وكثرة الحروب، وكانت الحضارة العربية الإسلامية في أوجها، وكان العلم العربي في كافة المجالات من طب ورياضيات وفلك الأدب... وغيرها من العلوم (Abū Sulaymān, 1992).

وأن جميع هذه العلوم أضاءت العصور التي كان يسودها الجهل والظلمات، وامتدت من الأندلس غربا إلى الصين شرقا، وأعطت مفهوما جديدا للمدن والتحضر من خلال مد جسور التواصل مع الإنسانية

جمعا دون تعصب لدين أو انحياز لعرق. وكانت الحضارة العربية الإسلامية فتحت الأبواب لاكتشاف الكفاءات وهبأت الظروف أمام أصحاب التجارب والخبرات، فازدهرت تحت رايتها الكثير من العلوم، وكثرت الإكتشافات والأبحاث.

وللأمم العربية حضارة أصيلة ابتدأت في الجاهلية وتمت في الإسلام بسرعة فائقة، وتأثرت بالعقلية العربية والذهنية العربية، وبأسلوب التفكير العربي، ودونت ثقافتها باللغة العربية، ورسمت حروفها بالخط العربي المقدس (Ma'rūf, 1975). حيث يمتاز الجنس العربي بقوة الشخصية، والمعنويات العالية والصبر، والعربي يحمل روحا مثالية عالية، يستنكف الهزيمة ويتحمل المسؤولية، وجبل على التحدي والإستمرار والبقاء، فهو صناع التاريخ والحضارة (al-'Azāwī, 2017).

وكانت الحضارة العربية الإسلامية حضارة عظيمة غنية ومبدعة، قدم من خلالها شعبنا العربي الكثير من الإبداع في شتى مجالات العلم والفلسفة والأدب والفن والإدارة والسياسة وتثبيت القيم الإنسانية، خدمة للبشرية جميعا، ومن أجل فهم تلك الحضارة لابد من تقديم صورة موجزة عن الدول العربية قبل الإسلام (Shākir, 2011). ومن الأمثلة على ذلك هم عرب الحجاز التي كانت تضم مكة ويثرب والطائف كمنطقتهم، حيث يقول الأستاذ حامد غنيم: "إن السبق الزمني الذي حققه عرب الجنوب أو عرب الشمال على عرب الحجاز في هذا المضمار لا يرجع إلى اختلاف في نوع العقلية، بل يرجع فقط إلى عوامل الإستقرار، أولى خطوات على طريق الحضارة، بالنسبة لعرب الحجاز فقد تأخرت قرونا عنها بالنسبة لعرب الجنوب وعرب الشمال.

أما بالنسبة لمصادر الحضارة العربية الإسلامية فهي لم تأتي من العدم أو الفراغ، ولم تكن أيضا جزيرة منعزلة عن العالم وإنما استمدت معارفها من مصادر متعددة، يأتي على رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. إذ هما المصدر الأول للتشريع والمصدر الأساسي للإخبار بالغيبات التي يجب على المسلم الإيمان بها، ولأن المسلمين أيضا يؤمنون بالديانات السماوية فهم استفادوا من اليهودية والمسيحية، وتأثروا بهما في بعض المسائل التاريخية والعقدية، واستفادوا أيضا من حضارات وثقافات الأمم الأخرى وتأثروا بما أنتجه تلك الثقافات والفلسفات التي سبقت الإسلام، وخاصة الثقافة الفارسية واليونانية (Ibn Salāmah, 2009, p. 67).

ومن مميزات الحضارة الإسلامية أنها تتصل بشعب الحضارة ونظرته إلى الحياة، وطريقة تفكيره وعاداته وتقاليده ومدى تفاعله مع بيئته. فالحضارة العربية الإسلامية تعدّ من اكبر الحضارات التي عرفتها البشرية، وأثار إشعاعها معظم جهات العالم، ولا يزال ينير الكثير من جنبات العالم طوال قرون عديدة. فالحضارة العربية الإسلامية انتشرت مآثرها الرائعة في معظم أنحاء العالم، فكانت أنبل حلقات الحضارة الإنسانية. ولهذه الحضارة شخصية تمتاز بها عن غيرها من الحضارات، فإنها غنية بثروتها اللغوية، والدينية، وتراثها العلمي والأدبي والفكري، وبكل مقومات الحياة الحرة الكريمة، وهي أيضا غنية برجالها

وبالأمّة العربية، معتزة بأمجاد الإسلام، الذين خلقوا الأمّة العربية خلقا جديدا وكونوا منها أضاءت العالم، فلذا اتسمت بصفات ميزتها عن غيرها من الحضارات.

دور الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الأوروبية

للحضارة العربية الإسلامية دور كبير لا ينكر في الحضارة الأوروبية، وذلك من الإسهامات الرفيعة والشاملة لهذه الحضارة وما كان أوروبا أن تصل إلى ماوصلت إليه من تقدم معرفي وتكنولوجي، وهذا الأمر لا يستطيع إنكاره أشد مفكري الغرب حقدا على العرب المسلمين، فالدكتورة زيغريد تفر وتقول: "ففي الوقت الذي كان فيه العرب يسير في طريق مظلم ويغط في سبات عميق، أصبحت بغداد بمكتباتها وثقافتها ومدارسها حاضرة الدنيا بلا منازع وجذبت قرطبة في إسبانيا طلاب العلم والمعرفة من أنحاء الشرق والغرب وفي القاهرة كانت مكتبتا الخليفة تزمان مليونين ومائتين من المجلدات، في حين لم يكن أحد في روما في ذلك الوقت على سبيل المثال يملك من المعرفة ما يؤهله أبوابا لأي مكتبة من مكتبات العالم الإسلامي، وتقول أيضا: وأنى لنا أن نعلم الناس ونحن بحاجة لمن يعلمنا" (Sigrid, 1993, p. 353).

شهادة الغربيين بفضل الحضارة العربية الإسلامية

في الوقت الذي كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوجها، كان العرب قد أضافوا الكثير في مجال الطب، ومجال الأدب، أو في غيره من المجالات في ذلك الوقت، ومازالت أوروبا في تلك الفترة تعيش في غياب وقد نخرت في عطائها الحروب، ولذا كان اختلاط العرب بالأوروبيين اختلاط قتال في البدء ثم تحول إلى اختلاط حضارة وثقافة وأفكار بعد ذلك.

وتعددت الطرق التي سلكها التراث العربي الإسلامي إلى الغرب، فقد غزت النهضة العربية عقول الأوروبيين وفهمهم المختلفة وردود أفعالهم تجاهها بين مقاومة عنيفة، أو اندماج معها والمساهمة فيها. وتفاعلت أيضا الحضارة العربية الإسلامية مع حضارات الأمم الأخرى، وأخذت منها وأثرت فيها وتأثرت بها، فهي ثقافة مفتوحة للعالم، ولا تخشى على نفسها تلك الحضارات، لأن المعتقد الإسلامي يظهر لجميع الأمم والشعوب في بوتقة الإسلام، وكل العلوم تتناقلها الأمم والشعوب منذ الأول وهذا لا يعيب الأمّة أن تأخذ من غيرها، لأن العلم لا يبدأ عند أمّة من الأمم من الصفر، بل هو استمرار لجهد الآخرين.

إن تاريخ الإسلام الحضاري لا يمكن أن يكون محل شك من أحد، إنه واضح مثل الشمس في ريعان النهار، إنه حق كما أن الإسلام الذي قام عليه حق. ولقد بهر تاريخ الإسلام الحضاري العلماء والباحثين والمفكرين في أوروبا، وأخذوا على الرغم من تعصبهم الديني، ومحاولتهم تزييف الحقائق والتاريخ يمجدون حضارة المسلمين وينوهون لها، ويثنون عليها، ويعلون منزلتها بين الحضارات إلى حد يثير الإعجاب، ويدعون إلى الفخر وإلى مايبعث على الكبرياء (Abū Sulaymān, 1992).

أثر الأدب العربي الإسلامي في الأدب الأوروبي

تأثر الأدب الأوروبي في العصور الوسطى وبداية العصر الحديث تأثراً واضحاً بموضوعات الأدب العربي، ذلك لأن الأوروبيين لم يجدوا ما يشفي غليلهم في الآداب المعاصرة التي أعوزها الخيال الخصب، فاتجهوا شطر الأدب العربي المعروف بالخصوبة والإبداع. وهذا جب يقول: "إن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر العصور الوسطى ونثرها" (al-Imām, 2008, p. 61).

لم ينتقل الشعر إلى أوروبا عن طريق الترجمة إنما عن إنصهار سكان جنوب غرب فرنسا وجنوب إسبانيا وصقلية في بوتقة الحضارة العربية من خلال المساجد الإسلامية، ومجالس الأدب العربي التي كان يعقدها الخلفاء على عاداتهم العربية. ومما لا شك أن الحضارة العربية قد تأثرت في أوروبا: "وذلك باهتمام الأوروبيين بالدراسات والكتب العربية الأدبية وبصفة خاصة القصص ومنها "كليلا ودمنة" وقد وصلت إلى أوروبا عن طريق الترجمة أيضاً وفي مقدمة القصص الفلسفية الصوفية التي أثرت في أوروبا قصة "حي بن يقضان" لاب طفيل ١٠٩٥م وهي تهدف إلى التوفيق بين الفلسفة والدين (Tawīl, 1985). وقد لاحظ الباحثون أوجه شبه واضحة بين القصص العربي الخيالي وذلك مثل "قصة إيزولد ذات اليد البيضاء، و"قصة فلورا والزهرة البيضاء". وتتضح الروح العربية في القصة الأخيرة بوجه خاص وهي شديدة الشبه بالقصة الشائعة "القاسم ونيقولا" التي لا يرقى الشك إلى أصلها العربي، كما هو واضح من اسم بطلها "القاسم". ولا عجب فالعرب كما يقول لوبون هم اللذين ابتدعوا روايات الفروسية في الأدب (al-Imām, 2008, p. 65). ولم تنقطع الصلة بين الأدب العربي الإسلامي والآداب الأوروبية إلى يومنا هذا فيما يرى العقاد ويشهد بهذا "أننا لا نجد أدبياً واحداً من نوابغ الأدباء عندهم خلا شعره أو نثره من بطل إسلامي أو نادرة إسلامية ومنهم شكسبير وأدسون وبيرون وسوذي وكولردج وشلي بين أدباء الإنجليز، ومنهم جيتي وهردر ولسنغ وهبتي من أدباء الألمان، ومنهم فولتير وممنتسكيو بين أدباء الفرنسيين، ومنهم لافونتين الفرنسي صرح باقتدائه في الأساطير بكتاب كليلا ودمنة الذي عرف عن طريق المسلمين (al-'Aqqād, 2005). فلولا العرب وحضارتهم ويقظتهم الفكرية لم يكن بالإمكان معرفة حضارات الأمم التي سبقتهم وإيصالها إلى العالم الحديث مع النتاج العربي الأصيل، والتراث الإسلامي العظيم.

أثر ألف ليلة وليلة في الغرب

لقد برع العرب في الحكايات وأبدعوا فيها أيما إبداع وقد اقتبسوا هذا الفن من الفرس وتمكنوا منه حتى جازوهم فيه وبلغوا أعلى درجات الشهرة، ونخص بالذكر الحكايات الشعبية. ومن بين الحكايات التي تفنن فيها العرب وذاع صيتهم بها نجد ما اشتمل عليه كتاب "ألف ليلة وليلة" الذي أصبح عنواناً عريضاً من عناوين الأدب العربي وأثر خالداً من آثاره.

"ألف ليلة وليلة" حكاية خرافية شفوية في الأصل، تتميز بحضور الراوي صراحة فيها، وبتوجهه إلى القارئ هذا مايفسر محافظتها على صيغة واجدة للبداية "كان يا مكان" وللنهاية...وعاش في سبات عميق ونبات وولدا صبيان ونبات... مكانها من نسخ الخيال، شخصياتها بشرية من الواقع أو خرافية تنتمي إلى أعمال وطبقات اجتماعية مختلفة (Zaytūnī, 2002).

ألف ليلة وليلة عبارة عن مجموعة من الحكايات المنفصلة عن بعضها، قد تكون الحكاية واحدة من البداية إلى النهاية، وقد تتخللها حكايات ثانوية، وهذه الحكايات يتم روايتها في كل ليلة. حيث كانت شهرزاد تقوم برواية الحكاية في كل ليلة لشهريار لتقطع عند الفجر وتمتها في الليلة الموالية، حتى أصبح العدد ألف ليلة وليلة واحدة. وتباينت لغة الحكايات ما بين الفصحى والعامية حيث نجد الكثير من اللهجات المتداولة، من بينها اللهجة المصرية كما يتخللها شعر مصنوع في نحو عشرين وأربعمئة بعد الألف مقطوعة.

بارزة فيها مفهوم التعاليم الإسلامية، ويتحكم في أغلب أبطال قصص "ألف ليلة وليلة" إذ نجد أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في الحياة الاجتماعية والإقتصادية وأثناء الحروب مثل حكاية "غريب وعجيب وسهيم الليل" في الجزء الثالث من الكتاب (2013, "Alfu Laylah wa-Laylah,"). كما طغى العنصر النسوي في هذه الحكايات، فالمرأة هي المحرك الأساسي، كمت نجد نساء من الجنّ يعشن كالنساء العاديات في الحبّ والكره (al-Qalamāwī, n.d.).

يقول بعض النقاد أن أصل كتاب ألف ليلة وليلة فارسي، والبعض الآخر يرى أنه هندي مع التنويه بفضل الفرس فيه، كما أشار المسعودي في كتابه "مروج الذهب" إلى الكتاب فقال: "وسيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب "هزار إنسانة"، وتفسير ذلك، من الفارسية إلى العربية (ألف خرافة) والناس يسمون هذا الكتاب "ألف ليلة وليلة" (Abd al-Qādir, 1996, p. 251).

ويقال أيضا بأن العرب قد ترجموا الكتاب من الفهلوية إلى العربية آخر القرن الثالث للهجرة، ثم دعاهم الإعجاب به إلى توسيعه وتفريعه فأضافوا إليه ما شكله من أساطير العرب والهنود واليهود وأخبار الخلفاء والأمراء والفرسان والأجواء في الجاهلية والإسلام، وبقي بابه مفتوحا للزيادة عليه حتى القرن العشار للهجرة فتكامل نقصانه واستتم بنيانه، وتضاءل مافيه من وضع الفرس حتى فني فيما وضع العرب من أقاصيص الجان ومخاطر الشجعان ونجوى الهواتف وأعمال السحرة التي تستهوي القلب و"تشحد خاطر وتخصب المخيلة" (al-Zayyāt, n.d.).

وخلاصة القول أن كتاب "ألف ليلة وليلة" عبارة عن قصص شعبي له أصول الهندية والفارسية إلا أنه عاش في البلاد الإسلامية فتأثر بثقافتها وبيئتها، فأعطى بذلك مزيجا من الحكايات المتعددة المناحي والميول لجنسيات مختلفة، تجد فيه السلس المغربي والوعر السوقي البليد.

"ألف ليلة وليلة" حكايات تمزج بين الخيال والحقيقة وقد لفت إقبالا من الجمهور الأوروبي منذ أن ترجمت سنة ١٧٠٤م حتى ظهر لها في القرن الثامن عشر وحده أكثر من ثلاثين طبعة، ونشرت منذ ذلك الوقت أكثر من ثلاثمئة مرة، بمختلف اللغات الغربية وإلى هذا القصص يرجع الفضل في إثارة روح المغامرة في الأوروبيين، ويضيف جورج يعقوب أن قصة روبنسون كروز مأخوذة عن قصة "حي بن يقضان"

التي كتبها الفيلسوف الأندلسي "ابن طفيل" والتي ترجمت إلى اللاتينية سنة ١٢٧١م وإلى الإنجليزية سنة ١٧٠٨م (al-Imām, 2008, p. 66).

لقد رأى الأوروبيون في هذه الحكايات تراثا هائلا، وفنا جميلا وخيالا خصبا، وهي تصور ما وراء الأسوار العالية في حياة الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والتجار وما فيها من عوالم الجواري والجن والسحر واليطان، عالم مثير في ثوب بالغ الجمال، فقد أثار الغرب وأدهشته تلك الحكايات العجيبة عن هذه الكائنات الأكثر غرابة التي تفوق قدرتها قدرة البشر...عالم الجن والشياطين وكيف بسحرهما الإنسان لتحقيق أهدافه ومراميه (Gharīb, 1998).

ترجم الأوروبيون "ألف ليلة وليلة" إلى لغتهم المختلفة في القرن الثامن عشر، وكان من نتائج هذه الترجمة أن أثرت تأثيرا واضحة في الأعمال الفرنسية الكبرى، فبدأ الإهتمام ظاهرا في الوسط الفرنسي بحيث كانوا مدفوعين بغريزة التطلع والرغبة في الانعتاق من قواعد العقلانية المتشددة، والخروج من طوق الكلاسيكية الخانق. لقد كان حضور "ألف ليلة وليلة" في الأدب الفرنسي طاغيا واتسع ليتغلغل في أدق المكونات الأدبية فظهرت الأساليب الفرنسية متداعية بلغة مستوحاة من الحسّ العاطفي للمبدع ومن تعامله الطبيعي مع الأشياء، وقد ألهمت هذه القصص خيال الفرنسيين خاصة والعربيين عامة، بعد ترجمتها إلى لغاتهم، وغرست عند كثير منهم حبّ الإطلاع والتشويق إلى زيارة الشرق (Faydūh, 2009).

فبعد أن أحكمت فرنسا قبضتها الرخامية على الجزائر، حاولت أن توطن فيها أعدادا كبيرة من الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة لتجعل منها مستعمرة توطين أو امتدادا لها عبر البحر. واستعمل الرسم في الترويج لجمال البلاد المستعمرة والتشويق لسحرها وروعة العيش فيها الحارة وألوانها البهية الدافئة، فصور بالكشف عن سمائها الصافية وطبيعتها الغريبة وشمسها الرسامون المستشرقون عالما مثاليا يغمره السكون والعزلة، يترأى كجنة نعيم تجتذب الرومنسيين وعشاق التغريب (Qijāl, 2009).

على أن الشرق لطالما ارتبط في المخيال الغربي بالأسطورة وحكايات ألف ليلة وليلة. والخصوبة التي منحتها قصص الأميرة شهرزاد والكتاب المقدس لمخيلة الطفل الأوروبي، لذا نجد أن اللوحة الصغيرة، زرعت فيه شغفا بسحر العالم الإسلامي وتوقا شديدا إليه الاستشراقية تتعمد في معظم الأحيان إيقاظ هذا التوق في نفسية الأوروبي من خلال المشاهد التي تمثل حياة البذخ داخل القصور والحريم، حيث العمارة الرشيقة، والتحف النفيسة، والألبسة الأنيقة، والنساء الفاتنات، ومشاهد الرقص الشرقي، والغناء والاستجمام، وما إلى ذلك لكن هذا النوع من اللوحات لا يعكس الواقع ذلك من المقبلات التي تفتح شهية الاستيطان (Qijāl, 2009).

التأثير والتأثر بين فولتير (Voltaire) وألف ليلة وليلة

من المعروف أن فولتير (Voltaire) أطلع على ألف ليلة وليلة وتأثر بها، ولقد اعترف هو نفسه في عدة مناسبات أنه لم يصبح قاصا، إلا بعد أن قرأ ترجمة غالان أربع عشرة مرة حيث قال: "لم أصبح قاصا إلا

بعد أن قرأت الليالي العربية أربعة عشرة مرة...وكم أتمنى أن افقد ذاكرتي حتى أستعيد حلاوة القراءة الأولى". كان فولتير يستعين بالليالي وأجوائها الشرقية من أجل بث أفكاره ودروسه في عصر أحت الناس فيه العالم الشرقي وكل مايمت إليه "بصلة" فاهتمام فولتير بهذه المجموعة لم ينصب على عالم الأعلام مثلما انصب اهتمام غوته، بل تركز على الجانب الأسطوري بوصفه رداء شاع استعماله آنذاك في الحكايات التربوية (Faydūh, 2009).

"زديج أو القدر" لمؤلفها فولتير، قصة لونت بلون شرقي رائع وكسبت بردائه المعروف، فبطلها شاب بابلي مثقف محب للعدل والإنصاف، عانى الويلات في كل مكان. أما أحداثها فتجري في إطار شرقي عربي (بابل-مصر-البصرة-جزيرة العرب) (Voltaire, 1960, p. 159). وكان أبطالها من طبقات مختلفة فمنهم "الملوك المستبدون اللذين لا يخالف لهم أمر ويجب التفاني في خدمتهم ومنهم الحكام ذو الرأي السديد والقول المفيد يقعون دائما في الشدائد ويتعرضون للأذية، والجواري اللواتي ينفين أعمارهن لأشباع رغبة السلاطين، ومنهم النساء الخائئات والفالحوون والعمال، وكذا فئة العبيد المسخرون لخدمة القصور (Voltaire, 1960, p. 196).

ويبدو أن فولتير في قصة (ألمونا) متأثرا بحكاية المرأة التي خلصت عاشقها وهما هارين بعدما شحنت الملك وأرباب دولته الواردة في حكاية ألف ليلة وليلة وهي تروي قصة الجارية التي راحت تستخلص حبيبها من السجن فضربت مع الوالي ثم القاضي ثم الوزير وضحكت على الجميع لأنهم أحبوها وأعلنوا إليها حبهم متلعثمين وخلصت هي وحبيبها من السجن وفرت برفقته إلى مكان آخر (Voltaire, 1960, p. 109).

وهكذا أراد فولتير أن ينسج قصة "زديج" على نمط الليالي فأدخل في أحداث قصته المرأة "لأنها تمثل عنصرا مهما في الأدب الشرقي وحكاية القدر" حكاية شرقية عرض فيها فولتير ماتعرض له من استغلال جسدي، أو ماتدبره من مكائد، لكنه لم يعتمد بذلك لتحليل نفسياتها، إنما أراد إبراز جانب مهم، بتوظيفه لها وهو إبراز الوجه الحقيقي لرجال الكنيسة الذين تركوا واجباتهم ويعيشون في المجتمع مستغلين الطبقة الفقيرة.

الخاتمة

إن الحضارة العربية كانت أصيلة في نقلها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتفاعلت الحضارة العربية مع حضارات الأمم الأخرى في شتى المجالات، وأخذت من تلك الحضارة وأثرت فيها وتأثرت. ولا يوجد مؤلف أدبي شعبي كانت له الخطوة الكبيرة في التأثير على الآداب عبر العالم ككل مثلما كانت لألف ليلة وليلة، ولقد وجدوا في حكاية شهرزاد أرضا وشعبا متعطشا للحرية، حيث كانت ملاذهم الوحيد الذي عثروا فيه على الحياة، فلا حواجز عنصرية أو عقد نفسية أو غير ذلك. وكان لفولتير ذوق جمالي وحس شاعري وسحر شرقي وامتد أثره إلى قرون تالية وحتى عصرنا الحالي، وأن كلا من الأدب العربي والأدب الأوروبي آثارهما على بعضهما البعض ويظهر ذلك من خلال تتبعنا للحوار الحضاري

بينهما، فالأوروبيين تأثروا بالرسم الخيالي المأخوذ من قصة ألف ليلة وليلة ونسجوها في فكرهم واستسقوا الهامهم من ذلك في رسوماتهم، والعرب أيضا تأثروا بالأدب الغربي من حيث تفكيرهم ولكن في ظل ذلك الإنفتاح الفكري يراعى فيهم العرب خصوصيتهم الثقافية والحضارية.

المراجع

- Abū Sulaymān, A-Ḥ. A. (1992). *Azmat al-‘aql al-Muslim*. Virginia: al-Ma‘had al-‘Ālamī li-al-Fikr al-Islāmī.
- Alfu laylah wa-laylah* (Vol. 3). (2013). Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah.
- ‘Abd al-Qādir, Sh. b. M. (1996). *al-Ightirāb fī ḥikāyāt Alfu Laylah wa-Laylah: Muqārabah nafsīyah ijtimā‘iyah*. (Tesis., Jāmi‘at Talmasān, Algeria). Retrieved from <https://www.theses-algerie.com/4969077360377641/memoire-de-magister/universite-abou-bekr-belkaid---tlemcen/الإغتراب-في-حكايات-ألف-ليلة-وليلة/>
- al-‘Aqqād, ‘A. M. (2005). *Athar al-‘Arab fī al-ḥaḍārāh al-Uwrūbiyah*. Giza: Nahḍat Miṣr li-al-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.
- al-‘Azāwī, ‘A-R. Ḥ. (2017). *Tārīkh al-ḥaḍārāh al-‘Arabīyah al-Islāmīyah*. Ammān: Dār al-Khalīj.
- Bassnett, S. (1999). *al-Adab al-muqāran: Muqaddimah naqdīyah* (A. Ḥ. Nuwayrah, Trans.). Beirut: al-Majlis al-A‘lá li-al-Thaqāfah.
- Faydūh, Y. (2009). *Ishkālīyāt al-tarjamah fī al-adab al-muqāran*. Damascus: Ṣafaḥāt li-al-Dirāsāt wa-al-Nashr.
- Gharīb, M. (1998). *Ajmal qiṣaṣ Alfu Laylah wa-Lailah*. Cairo: Markaz al-Kitāb li-al-Nashr.
- Hāshim, Z. (1970). *Faḍl al-ḥaḍārāh al-Islāmīyah wa-al-‘Arabīyah ‘alá al-‘ālam*. Cairo: Dār Nahḍah.
- Ḥasan, Ḥ. Ḥ. (1992). *Ḥaḍārat al-‘Arab fī ṣadr al-Islām*. Beirut: al-Mu‘assasah al-Jāmi‘iyah li-al-Dirāsāt wala-Nashr wa-al-Tawzī‘.
- Ibn Khaldūn. (2005). *al-Muqaddimah*. Cassablanca: al-Dār al-Bayḍā’.
- Ibn Salāmah, R. (2009). *al-Ḥaḍārāh al-‘Arabīyah al-Islāmīyah bayna al-ta’aththur wa-al-ta’tbīr*. Algeria: Dīwān al-Maṭbū‘āt al-Jāmi‘iyah al-Jazā’ir.
- al-Imām, M. F. (2008). *Ma‘ābir al-ḥaḍārāh al-‘Arabīyah ilá Uwrūbā*. Ammān: Dār al-Ma‘mūn.
- Ma‘rūf, N. (1975). *Aṣālat al-ḥaḍārāh al-‘Arabīyah*. Beirut: Dār al-Thaqāfah.
- al-Najjār, Kh. F. (2015). *Tārīkh al-ḥaḍārāh al-‘Arabīyah al-Islāmīyah*. Amman: Dār Ṣafā’.
- Ouyang, W-C. (2016). Male friendship and brotherhood in Arabic and Chinese cultures. *Alif: Journal of Comparative Poetics*, (36), 231+ Retrieved from <https://link.gale.com/apps/doc/A478140524/AONE?u=anon~73bb2d03&sid=googleScholar&xid=03d03372>
- Qijāl, N. (2009). al-Wazā‘if al-asāsīyah li-al-rasm al-istishrāqī qubayl wa ibbān al-isti‘mar al-gharbī li-al-‘ālam al-Islāmī. *Insaniyāt*, (46), 127–142. doi:10.4000/insaniyat.924
- al-Qalamāwī, S. (n.d.). *Alfu laylah wa-laylah*. Cairo: Dār al-Ma‘ārif.
- Shākīr, M. (2011). *Mawsū‘ah al-ḥaḍārāt al-qadīmah wa-al-ḥadīthah wa-tārīkh al-umam*. Amman: Dār Usāmah li-al-Nashr.

- Sigrid, H. (1993). *Shams al-‘Arab taṣṭa‘u ‘alá al-gharb*. (F. Bayḍūn & K. Dasūqī, Trans.). Beirut: Dār al-Jīl & Dār al-Āfāq al-Jadīdah.
- Ṭawīl, T. (1985). *Fī turāthhinā: al-‘Arabī al-Islāmī*. Kuwait: ‘Ālam al-Ma‘rifah.
- Voltaire. (1960). *al-Qadar*. (Ṭ. Ḥusayn, Trans.). Beirut: Dār al-‘Ilm li-al-Malāyīn.
- Zaytūnī, L. (2002). *Mu‘jam muṣṭalaḥāt naqd al-riwāyah: ‘Arabī – Inklīzī – Faransī*. Beirut: Makabat Lubnān Nāshirūn & Dār al-Nahār li-al-Nashr.
- al-Zayyāt, A. Ḥ (n.d.). *Tārīkh al-adāb al-‘Arabī*. Cairo: Dar Nahḍah Miṣr li-al-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

This page intentionally left blank